

## مراجعات في الكتب - غالب عنابسة

1. كتاب الدكتور ياسين كتاني، سنة روائيين حدائيين

(إصدار: مجمع القاسمي للغة العربية، كفرقرع: دار الهدى للطباعة والنشر، 2011، 198 صفحة)

يشتمل كتاب الدكتور كتاني على ستة فصول، تعكف على دراسة نصوص سردية لستة أدباء من مختلف الأقطار العربية، هم: إبراهيم نصر الله، إدوار الخراط، إبراهيم الكوني، زكريا تامر، ليلى الأطرش وسحر خليفة. وهي نصوص يجمع بينها انضواؤها داخل تيار الحداثة، رغم اختلاف تجارب الأدباء ومفاهيمهم الجمالية وأزمنة صدور مؤلفاتهم.

تتميز الدراسات، كما يقول كتاني في المقدمة، "برؤية نقدية جديدة، تبحث في أدوات التشكيل الفني واستراتيجيات القصّ واستجابتها، من جهة، لمفارقات الواقع المراوغ والملتبس ومتغيّراته، في ظلّ الظروف الاجتماعية والسياسية التي وجد الروائيون العرب أنفسهم فيها، واستجابتها، من جهة ثانية، للمتغيّرات المستمرة في مفهوم الأدب، ووظائفه وجماليّاته، وفي قواعد إحالة النصّ".

يعالج مدخل الكتاب مفهوم/ مفاهيم الحداثة في الحقل العربي، وما أصاب المفاهيم الغربية للحداثة من تبدل حين هاجرت من موطنها الأصلي إلى المشرق، ويبحث في تصوّر المفكرين والأدباء العرب لحداثتهم، ويخلص المؤلف من خلال استعراض أهمّ وجهات النظر، "أنّ ما حدث في العالم العربي من تنوير وتحديث، في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، لا يعدو أن يكون نخبويّاً ولا يمسّ جذور الأبنية العميقة الأساسية لمجتمعاتنا العربية"، ويعلّل من ثمّ أسباب فشل مشروع الحداثة العربية؛ بأنّ أبرز ما فيه يقتصر على مظاهر الحداثة التقنية القابلة للتسويق. ولكنّ الأمر يختلف تمامًا فيما يتعلّق بالإبداع الأدبي، فجميع المثقّفين يراهنون على قوّة الإبداع في التجاوز والتخطّي، فالإبداع الحدائي العربي يتمحور في "التساؤل حول الممكن، والاحتجاج حول السائد"، فيسهّم الإبداع في تغيير الواقع عن طريق تقويضه وإعادة صياغته على نحو أجمل وأعدل وأنظف. وبالتالي، فإنّ هذه الرؤيا الإبداعية، تعتمد الفانتازيا والحلم والأسطورة وسيلة للتغيير،

وتستخدم نفس تقنيات النصوص السردية الغربية في المباني والأساليب رغم التباين العميق بين الحداثتين.

يتناول الفصل الأول "الكتابة تعادل البقاء: التشكيل الفني في رواية إبراهيم نصر الله" أعراس آمنة، 2004"، للأديب الفلسطيني-الأردني، يشير فيه د. ياسين كتاني إلى التشكيل الحداثي للرواية الذي يتمثل في تهشيم التتابع السردى بين السابق واللاحق، مما يستوجب من القارئ القيام بتنظيم الأحداث من جديد، كما يتمثل بالمفارقة التي يتم تفعيلها في النصّ كعنصر أساسي في بناء النصّ وصياغة الدلالة.

أما الفصل الثاني الذي ورد تحت عنوان: انهماك الحدود ولعبة الإيهام والتجاوز في رواية "تراهما زعفران، 1986" للروائي والناقد المصري إدوار الخراط، فيتناول إشكالية تصنيف هذه النصوص السردية، ويتناول من زوايا تحليلية مختلفة تقنيات السرد الروائي، وقد اكتسبت لدى الخراط في هذه الرواية فريدة ورؤيا حداثية جديدة ومميّزة. يتناول الدكتور كتاني في الفصل الثالث موضوع: "التاريخ والفضاء التخيلي في رواية "نداء ما كان بعيداً، 2006" للروائي الليبي إبراهيم الكوني، وهي رواية استقى الكاتب فيها مادته من فترة حكم أحمد الأكبر القرامنلي في القرن الثامن عشر. وإذا كان لجوء الكوني إلى التاريخ في هذه الرواية استجابة لحسّ وكبرياء وطني، فإنّ الدكتور كتاني يرى فيه محفزاً لارتياح عوالم تخيلية أو افتراضية تصدر عن مخيلة الفنان فتحوّل التاريخي إلى تراث وجداني.

يتناول الدكتور كتاني في الفصل الرابع، استجابة الشكل للمضمون في القصص القصيرة للأديب السوري زكريا تامر، ويبرز الأجواء والمضامين في مجموعاته القصصية القصيرة، والاستجابة المتبادلة بين الشكل والمضمون فيها، حيث أملت المضامين توظيف التقنيات التي تنسجم مع تجربة الكاتب ومشاعر السأم والغثيان التي يورثها الواقع الاجتماعي والسياسي.

الفصل الخامس من الكتاب يعالج تجليات الحداثة في رواية للكاتبة الفلسطينية الأردنية ليلى الطرش بعنوان: "الرواسي تصير هباءً: المفارقة والتضادّ في صميم" مرافق الوهم

2005"، وهي رواية تعالج، كما يشير الباحث، مناحي ثقافية ذكورية في المجتمع العربي وكل المرافئ التي اعتبرت آمنة ليست كذلك في الحقيقة. الفصل الختامي لكتاب الدكتور كتاني هو الفصل السادس، ويتناول لغة القصة عند سحر خليفة بعنوان: "الترانسيندنتالي يتسلق على أكتاف الواقع: تعدد اللغات وتناوبها في رواية سحر خليفة" ويبحث الفصل في تعدد اللغات على مستوياتها المختلفة لدى هذه الروائية الفلسطينية، فمن اللغة المعيارية إلى اللغة المراوحة للعامة ومن ثم ترتقي اللغة لتغدو شاعرية، منسجمة في تبدلها مع إملاءات الواقع أو سموها عنه هروباً من سطوته.

لا نغفل أن نشير في نهاية مراجعتنا للكتاب أننا أمام دراسة جديدة مميزة، جادة وحاذقة في حقل أدبي مهم في أدبنا العربي الحديث لستة روائيين حداثيين، بل رائدة في مجال الدراسات الأسلوبية الحديثة للرواية العربية.